سبب اختياره

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [فصلت: ٣٣]، الاستفهام في الآية بمعنى النفي، أي: لا أحسن قولاً، والغرض منه انتفاء هذا الشيء، وتحدي المخاطب أن يأتي به، فإذا كان عنده شيء أحسن من هذا فليأتِ به.. ! انظروا إلى جهود المبشرين والمنصرين وأهل الضلال كم يبذلون ليضلوا الناس، ونحن الذين اصطفانا الله لحمل رسالته نتخاذل ونتقاعس.. !

ويجب الرجوع في تعلم أسلوب الدعوة إلى سيرة النبي ﷺ، ومن الخطأ الاعتماد على كتب المحدَثين فحسب، فسيرته مكتوبة صحيحة بين أيدينا، فيها الهدى والنور، وأي دعوة لا تكون من خلالها فهي فاشلة.

ومن المهم تدارس سير الصحابة والسلف والأئمة الأعلام كذلك، فذلك يوقف الدعاة على الطرق الصحيحة للدعوة الناجحة، فمن كان مقتدياً فليقتد بمن مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. وتذكر أخي الداعي إلى الله وأختي الداعية.

(الأهل، الأقرباء، الأصدقاء،، وكل من حولك.. كونوا معهم، فوجودكم معهم بحد ذاته دعوة من حيث تصرفاتكم فضلاً عن الممارسات الدعوية الأخرى..

والذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من الذي لا يخالطهم ولا يصبر على أذاهم.. ومن خالط الناس ونزل منازلهم ثم ارتقى بهم إلى الإيمان والتقوى والعمل الصالح هو العظيم حقاً. الأمر الآخر هو أن عليكم ألا تنقطعوا أو تنعزلوا عن إخوانكم الصالحين، فالمرء ضعيف بنفسه، قوي بإخوانه وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية! قال تعالى عن موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا ﴾ [القصص: ٣٥].

وإن الهدف الأساسي للإسلام ودعوته هو إنقاذ البشرية، وإخراجها من عبادة الآخرين إلى عبادة الله، ومن الظلمات إلى النور، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام.

لهذا قال الرسول ﷺ: «**إنما مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها، والرجل يزعهن، ويغلبنه**

فيقتحمن فيها، فأنا آخذ بحجزكم عن النار، وأنتم تقتحمون فيها» [1]، هذا الحديث من النصوص فى السنة التي تجلي صفة الرحمة في رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهذه الرحمة ملأت قلبه حتى كادت تهلك نفسه الشريفة ﷺ حزناً وحسرة على هذه الأمة، قال الله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ ﴾ [الكهف: ٦]، ففاضت هذه الرحمة وفاضت حتى كادت تقتل صاحبها ﷺ حزناً لما يرى من انصراف الخلق عن طريق الجنة إلى طريق النار. يقول ﷺ : «**مثلي ومثل الناس كمثل رجل استوقد** - أي: أوقد ناراً فاتقدت هذه النار واشتعلت وسرى ضؤها - **فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها**»، والفراش جمع فراشة، وهي دواب مثل البعوض تطير وتتهافت في السراج وتنجذب ناحية الضوء، فإذا رأت السراج بالليل ظنت أنها في بيت مظلم وأن السراج فوة في البيت المظلم إلى الموضع المضيء، فتظل تطلب هذا الضوء وترمي بنفسها إلى هذه الفوة، فإذا ذهبت بعيداً عنها ورأت الظلام ظنت أنها لم تصب تلك الفوة، فتعود إليها إلى أن تحترق بهذه النار التي تحسبها نوراً. الداوب، جمع دابة، وهي التي تقع في النار كالفراش والبعوض والجندب حيث ينجذبن إلى النار ويقعن في هذه النار، (وجعل الرجل يحجزهن) أي: يمنعهن عن النار مخافة عليهن (ويغلبنه) فرغماً عنه تصر هذه الدواب على أن تقع في النار وتقتحمها، قال: «**فيغلبنه فيقتحمن فيها**» أي: فيدخلن في النار قال رسول الله ﷺ : «**فذلكم مثلي ومثلكم**» أي: ما ذكر من حال الرجل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها صار الفراش والدواب يقتحمن فيها والرجل يمنعهن من ذلك وهن يغلبنه يقتحمن في النار. ثم زاد هذا الأمر بياناً فقال ﷺ : «**أنا آخذ بحجزكم عن النار**» والحجز جمع حجزة، وهي معقد الإزار، ومن السراويل هي موضع التِّكّة، «**وأنا آخذ بحجزكم عن النار: هلم عن النار، هلم عن النار**» أي: أقبلوا إليَّ عن النار، أقبلوا إليَّ ولا تنجذبوا ناحية هذه النار، ففي متابعتي السلامة منها تتقحمون فيها، أي: تدخلون فيها هجوماً عليها من غير روية. فشبه ﷺ تساقط العصاة في نار الآخرة بجهلهم عاقبة الشهوات بتهافت الفراش في نار الدنيا بسبب جهلها وعدم تمييزها لما تقصد إليه، فهي تعتقد نفع النار وهي سبب هلاكها، فكذلك أهل الشهوات في شهواتهم الغالبة،

---

(١) رواه البخاري.

يعتقدون أنها نافعة وهي مضرة، والعاقل منهم الذي تحقق لـه أنها مضرة، لكن كان أسيراً للشهوات، فإنه لا ينفعه علمه بالضرر الذي فيها عن أن يسلك طريق النار فيقتحم فيها اقتحام الفراشة في النار مع علمه بأن فيها هلاكه. يقول بعض العلماء: إلى الله أشكو طوع نفسي للهوى وإسرافها في غيها وعيوبها إذا سقتها للصالحات تقاعست ودبت على كره إليها دبيبها وتهب نحو الموبقات نشيطة إذا ساوقتها الريح ساقت هبوبها وما هي إلا كالفراشة إنها ترى النار ناراً ثم تصلى لهيبها فهذا الحديث من أجلى ما يبين رحمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لهذه الأمة، كيف أنه يحرص أشد الحرص على إنجاء الناس من النار، وإنما يهلك من هلك رغماً عنه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، والناس اليوم أحوج إلى مـن يأخذ بأيديهم إلـى جـادة الدين القيم والاستشراف الروحي بعدمـا سلكوا خط الانحدار الذي أركس إنسانيتهم الحقيقية وحدا بهم إلى المادية والإفـلاس الروحـي، ليس فقط من لم يعرف الإسـلام بل حـتى المسلميـن الذين يحملون اسمه فقط ويجهلون كنهه الحقيقي! هؤلاء الغرقى بحاجة إلى من ينتشلهم مما هم فيه، ومن الظلم تركهم لأنفسهم التي تتخبط في التيه. فمن ذا الذي يستطيع انتشالهم غير الدعاة؟ وكيف سيكون الحال إذا تخلوا عن هذه المهمة العظيمة؟ في نفس الوقت الذي تتسارع فيه خطا المفسدين تجر معها معاول الهدم..! ومن هنا كانت أهمية هذا الموضوع الذى به نالت هذه الأمة الخيرية إلى قيام الساعة كونها أمة دعوة، قائمة على الرحمة واللين والحوار، وأسأل الله عز وجل أن يستخدمنا جميعاً ولا يستبدلنا لخدمة دينه.....

اللهم آمين.

* * * * *